اسم الدرس : تفسير سورة الأنعام | ح٢٠ | الآيات [١٢٤ : ١٢٩]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد -صلى الله عليه وسلم-.

توقفنا عند الآية ١٢٥ عند قول الله -عز وجل-: {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} (الأنعام: ١٢٥-١٢٦).

- **تعنت أهل الباطل وكبرهم**

-تكلمنا المرة الماضية وأوضحنا تعنت أهل الباطل وخاصةً السادة منهم الذين سماهم ربنا -سبحانه وتعالى- أكابر المجرمين، ليسوا فقط مجرمين بل (أكابر المجرمين)؛ يصل تعنتهم في رفض الآيات أنهم قالوا {لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ} (الأنعام: ١٢٤) ، أي: يريدون أن يضعوا أنفسهم في مقام؛ إننا لا يجب أبدًا أن نكون تابعين، إننا نريد أن يكون لنا حق التشريع، نحن الذين نقول وكلامنا يُسمَع، لكن لا نريد أن يأتينا وحي من السماء ونسمعه ونطيعه، لا نريد ذلك! { لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ} (الأنعام: ١٢٤)، وهذا الكِبْر كان عقابه كما قال ربنا -سبحانه وتعالى-: {سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ} (الأنعام: ١٢٤)، ولم يقل الأكابر فقط؛ لأن صغار المجرمين يتبعون الأكابر في هذه الشبهة الباطلة أو في هذا الطلب الباطل، فقال سيصيبهم (صَغَار) وهو عكس الكبر الذي كانوا يريدونه، {وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ}(الأنعام: ١٢٤).

-كان هؤلاء طوال السورة متعنتين في طلب الآيات والآيات الحسية: { لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ} (الأنعام: ١٢٤)، ويقولون: نريد آية حسية! فهم متعنتون في طلب الآيات بالرغم من وضوح الحق ووضوح الآيات القرآنية، فأخبر الله -عز وجل- بقاعدة مرة أخرى حتى لا يُكلَّف المسلمين ما لا يطيقون، كما قال ربنا للنبي -صلى الله عليه وسلم- في نفس السورة: {فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ } (الأنعام: ٣٥)، أي: لن تستطيع! {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ }(الأنعام: ٣٥)، {أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} (يونس: ٩٩)، وقال ربنا في سورة يونس: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ } (يونس: ١٠٠)، فهنا يخبرنا الله -عز وجل- بقاعدة حتى تُطمئن الداعية إلى الله ولا تجعله يلتفت لطلبات أهل الباطل، فأحيانًا طلبات أهل الباطل تُشغِل الداعية عن الهدف الحقيقي الذي بعثه ربنا -سبحانه

وتعالى- لأجله، **أحيانًا أسئلة أهل الباطل وتعنت أهل الباطل وجدال أهل الباطل يصرف الداعية عن الطريق الحقيقي الذي حدده الله له.**

- **عندما لاتكون الدعوة في محلها (التبذير الدعوي)**

مثلما قلنا، كما يوجد تبذير في المال هناك تبذير في الدعوة، التبذير أصله في اللغة: إلقاء البذور في غير محلها، أي أنك تضع البذرة في مكان لا تنبت فيه، فكذلك **التبذير الدعوي أن تضع البذرة الوعظية الدعوية في مكان لا تنبت فيه**، فحتى لا يلتفت الداعية بعيدًا عن الطريق المستقيم الذي وضعه ربنا له، فيخبرنا الله -عز وجل- هذه القاعدة وهي مهمة جدًّا، وأن كل شيء بإرادة الله -عز وجل-، وأن الهداية بتوفيق من الله -عز وجل-، وأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء -سبحانه وتعالى-.

- **القضية في الصدر!!!**

فيقول ربنا: {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ } (الأنعام: ١٢٥)، { مَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ }(الأنعام: ١٢٥) الأمر ليس خارجيًا، هذا الأمر داخلي! الأمر ليس في قوة الآية المطروحة ولا في عِظَمِها بل هذا الأمر في الصدر الذي يقبل هذه الآية، الأمر في نقاء الصدر الذي يقبل هذه الآيات القرآنية فيستسلم ويطيع. أبسط الآيات الكونية من الممكن أن تجعل الإنسان يبكي ويستسلم لقدرة الله -عز وجل-، وكثير من الآيات تُعرَض على الإنسان ويظل مُعرضًا، فرعون ومن معه أراهم سيدنا موسى الآية الكبرى؛ أكبر آية أراها له، ثم ماذا فعل؟ {فَكَذَّبَ وَعَصَى} (النازعات: ٢١)، لم تنفعه الآية، فالقضية في التلقي الداخلي للآيات، فربنا يقول للنبي -صلى الله عليه وسلم- مشكلة هؤلاء ليست في الآيات، المشكلة عندهم في صدورهم، { فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ..} (الأنعام: ١٢٥) يفعل ماذا؟ { يَشْرَحْ صَدْرَهُ..}، { وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ..}، يجعل ماذا؟ { يَجْعَلْ صَدْرَهُ }(الأنعام: ١٢٥)، القضية ليست في الآية سواء المتلوة أو المسموعة أو المنظورة؛ ليست هذه هي القضية، قوم فرعون أراهم سيدنا موسى العصا تنقلب حية وأخرج يده بيضاء للناظرين، وأراهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات، وكان كل مرة يأتيهم بآية تغرقهم، سواء القمل أو الضفادع أو الدم فيغطي المجتمع كله وهذا بلاء عظيم، فيذهبون لسيدنا موسى يقولون له {ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ }(الأعراف: ١٣٤)، فسيدنا موسى أمام

الناس كلها يقول: يا رب ارفع عنهم البلاء! فيرفع البلاء، ثم لا يصدقون موسى! فرعون وجنوده رأوا البحر وهو ينشق وبالرغم من ذلك دخلوا وساروا في طريق اليابس، فالقضية ليست أن الآيات عاجزة عن الإقناع أو أنه غير مقتنع، **القضية في الصدر لأن صدره لم يَقبل ولم يَعُد يَقبل هذه الآيات، فربنا يقول المشكلة ليست في الآيات.**

- صدرٌ منشرح

قاطع طريق آية واحدة جعلته يتوب إلى الله -عز وجل- وهو الفضيل بن عياض، وجبير بن مطعم سمع سورة الطور قال: "كاد قلبي أن يطير"[1].كم مرة سمع المشركون سورة الطور ولم تؤثر فيهم! فالقضية في الصدر الذي يتلقى هذه الآيات، فيقول ربنا أن الأمر كله بإرادة مِن الله -عز وجل-، {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ...}، والثانية أيضًا {مَن يرد الله..}، {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ} (الأنعام: ١٢٥) عندما يريد الله -عز وجل- أن يهدى إنسانًا فلن تكون الهداية بأن يرسل له آية كبيرة، {**يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ** ۖ }(الأنعام: ١٢٥). ماذا يعني {**يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ** ۖ }(الأنعام: ١٢٥)؟

(**الشرح**) :كتحليل لغوي للكلمة له معانٍ كثيرة، منها تقطيع للشيء، لأجل ذلك يُقال: شريحة اللحم. وأصل معنى الشرح: هو التوسع؛ أن يكون الشيء ضيقًا وينفتح، أن تكون المسألة مغلقة وتصبح سهلة، نقول شُرِحَت المسألة، نقول اشرح هذه المسألة الصعبة، أي: اجعلها واسعة وسهلة الفهم للناس، كذلك شريحة اللحم: يكون الشيء ملاصق لشيء فتقطعه فتفصله عنه. وقالوا في شرح الصدر؛ أن يتسع الصدر لقبول أحكام الدين.

هناك شخص غير قادر على القيام للصلاة؛ هذا صدره ضيق، أو هناك شخص غير قادر على الصيام، غير قادر على أن يذكر الله رغم أن أسهل عضلة تتحرك في الجسم هي اللسان ومع ذلك يقول: أنا غير قادر على ذكر الله، فتقول له: قل سبحان الله وبحمده، فيشعر أن هناك ثقلًا، أنت لا تقول له: أخرج مالًا مثلًا أو تقول له: ابذل مجهودًا واذهب للجهاد في سبيل الله، أنت تقول له: اذكر الله، لكن الذكر

[1] [عن جبير بن مطعم:] سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بالطُّورِ، فَلَمّا بَلَغَ هذِه الآيَةَ: {أَمْ خُلِقُوا مِن غيرِ شيءٍ أَمْ هُمُ الخالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَواتِ والأرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ} قالَ: كادَ قَلْبِي أنْ يَطِيرَ، قالَ سُفْيانُ: فأمّا أنا، فإنَّما سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يُحَدِّثُ، عن مُحَمَّدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، عن أبِيهِ، سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ، يَقْرَأُ في المَغْرِبِ بالطُّورِ ولَمْ أسْمَعْهُ زادَ الذي قالوا لِي. البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٤٨٥٤ • [صحيح]

ثقيل على لسانه! هنا المشكلة في الصدر وليست في أن عضلة اللسان ثقيلة، فهو يظل يتحدث ثلاث ساعات ولا يتعب عندما يتكلم في الهاتف، فالمشكلة ليست في أن العضلة متعبة، لا؛ المشكلة أن الصدر ضيق، **فكلما شرح الله صدر الإنسان للإسلام قبل الأوامر**. نريد أن نتخيل الصدر كلما يتسع يَقبل أوامر أكثر، فالإنسان الذي صدره منشرح يقبل كل أوامر الدين؛ لذلك أحيانًا عندما يكون الأمر صعبًا تجد أن أهم شيء هو أن يقبله الصدر، قبل أن يكون ثقيلًا على الأبدان مهم أن يقبله الصدر أولًا؛ لذلك عندما قال ربنا لسيدنا موسى: {اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ} (النازعات: ١٧)، أول طلب طلبه ماذا قال؟ {**قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي**} (طه: ٢٥)، ثم {وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي} (طه: ٢٦)، أن يكون الأمر سهلًا ولا يكون صعبًا عليَّ؛ **لأنه إذا أصبح الصدر منشرحًا وبَذل ولم يستطع أن يُكمل يَأخذ الأجر**، لكن إذا الأمر مُيسر -هذا سبب الشرح قبل التيسير- إذا كان الأمر ميسرًا وصدرك غير منشرح لن تفعله.

مثلًا حفظ القرآن؛ إن شرح الله لك صدرك لحفظ القرآن والأمر غير مُتيسر بأن لا يوجد مُحَفِّظ أو لا تجد مصاحف أو لا تجد مسجدًا تحفظ فيه أو هناك مشاكل إن نزلت أو أنت لديك إشكالية في الحفظ أو تتعتع في الحفظ، كل هذا أمر غير مُتيسر ولكن أنت تأخذ الثواب. لكن ماذا لو **كان الأمر متيسرًا؟** المحفظون يأتون حتى البيت ويتصلون بك وأنت صدرك ضيق، غير قادر أن تكمل، فلا تأخذ الأجر.

فشرح الصدر هذا أول طريق البذل، أن ينشرح صدرك؛ لذلك أول كلمة لا بد أن تتذكرها في وقت العسر والضيق أن الله شرح لك صدرك قبل ذلك في وقت العسر، {**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**} (الشرح: ٦)، وربنا قال: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} (الشرح: ١) أول شيء أنا شرحت لك صدرك قبل ذلك فأنا قادر على أن أشرحه لك مرة أخرى في هذا العسر. في العسر لا بد أن تتذكر الأشياء الموجودة في سورة الضحى وسورة الشرح، **في وقت العسر تذكر المعاني التي في هاتين السورتين، ومن أهمها أن الله قادر على أن يشرح صدرك وتستطيع أن تقاوم هذا الأمر العسير كما شرح صدرك من قبل.**

أخطر شيء أن يضيق صدرك بالأمر العسير، لكن إذا كان الأمر عسيرًا جدًا وصدرك انشرح، الخطوات التي بعد ذلك ستكون أسهل، لذلك يقول له: {إِنَّهُ طَغَىٰ}(النازعات: ١٧) ، قال له: {اشْرَحْ لِي صَدْرِي} (طه: ٢٥) أهم شيء عندي ثم بعدها: {**وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي**} (طه: ٢٦) ثم بعدها: {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي} (طه: ٢٧)، وبعدها: {يَفْقَهُوا قَوْلِي}(طه: ٢٨) وبعدها: {وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ

أَهْلِي}(طه: ٢٩). إذًا فشرح الصدر هو أن يتسع صدر الإنسان، مثلًا شخص صدره منشرح قدْرَ الفروض فقط فيأتي ليقوم الليل ولكن لا يقدر، ثم ينشرح صدره أكثر فيبدأ يقوم الليل، ينشرح صدره أكثر فيبدأ يقرأ القرآن، إذًا فكلما انشرح صدر الإنسان أكثر تلقى أوامر أكثر، وهناك شخص صدره ضيق جدًا تقوم بحشر الأوامر فيه حشرًا لضيق مساحته.

هناك نقطة في غاية الأهمية، **الصدر على قدر ما يضيق في الطاعات على قدر ما يتسع في المعاصي، وعلى قدر ما يتسع في الطاعات على قدر ما يضيق في المعاصي**، أي أن سعة الصدر سعة واحدة وتخيل أن هناك مؤشرًا يتحرك في المنتصف، فإن اتسع مكان الطاعات ضَيَّق على مكان المعاصي، فيكثر من الطاعات أكثر.

فمثلًا شخص يقرأ القرآن ويُكثِر من ذكر الله، عندما يسمع أغنية سيجد حرجًا وضيقًا في صدره، حتى وإن كانت أغنية عابرة عند استقلاله لسيارة أجرة، يطلب من السائق إغلاقها، فيظن السائق أنه يبالغ في الأمر فلن تؤثر هذه الدقائق في شيء، ذلك لأنه لا يفهم سبب ضيقه، وهو أن هذه المعصية ليس لها مكان تدخل منه إلى صدره، فصدره ضيق في منطقة المعاصي.

في حين أن هناك شخصًا صدره ضيق في الطاعات، ينشرح بالمعصية أي أن صدره يتسع بالمعصية، معقول هناك شخص ينشرح صدره بالمعصية! الله -سبحانه وتعالى- يقول في سورة النحل: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ } (النحل: ١٠٦)، ثم {وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ} (النحل: ١٠٦)، أي أنه من الممكن أن يتسع صدر الإنسان بالمعاصي. إذًا كلما استقبل صدرك طاعات أكثر ضاقت مساحة المعاصي التي تدخل إليه وتجد صدرك يضيق من أقل معصية، حتى المسائل الخلافية يضيق صدرك ولا تريد أن تخوض فيها، وحتى اللغو والوقت الضائع هباءً، تجد صدرك يضيق إن جلست تتحدث هكذا في غير فائدة ولو لنصف ساعة، حتى المباح ستجد صدرك يضيق إن أكثرت منه. هذا يحدث كلما أكثرت من الطاعات.

وكلما قللت من الطاعات سينشرح صدرك بالمعصية فتجده يفرح إن فعل معصية؛ لذلك الله -سبحانه وتعالى- يقول عن الإنس والجن: {رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ}(الأنعام: ١٢٨)، الإنس والجن يقولون بأنهم كانوا مستمتعين، فعندما كان يوسوس الجني بمعصية للإنسي، يستمتع الإنسي بها، وهذا هو شرح

الصدر بالمعصية. فالله -عز وجل- يقول {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ } (الأنعام: ١٢٥)، يجعل صدره منفتحًا للإسلام فيتلقى كل أوامر الدين.

- **مالحل إذاً؟**

هناك شخص -كما نقول- صدره منشرح على قدر الفروض فقط، لذلك جاهد نفسك حتى ينفتح صدرك أكثر فيستقبل طاعات أكثر. لذلك دائمًا الإنسان عندما يبدأ طاعة جديدة يجدها ثقيلة عليه ثم يجاهد نفسه حتى تصير عادة بالنسبة له، فتجده يستيقظ بمفرده لقيام الليل بدون تعب ولا مشقة، لذلك لا بد أن تجاهد نفسك، كما جاء في الحديث: (يعقد الشيطان على قافية أحدكم ثلاث عقد)[٢] ، ثم بمجرد أن تقوم فتذكر الله تُحَل عقدة، فبعد أن كان الموضوع ثقيلًا انحلت عقدة، ثم إن توضأت حُلَّت العقدة الثانية، ثم إن صليت حُلَّت الثالثة، إذًا فلا بد من حل تلك العقد التي يضيق بها صدرك حتى ينشرح بالطاعات. {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ }(الأنعام: ١٢٥)، أحيانًا تستعجب عندما ترى أحدهم يقوم بطاعات كثيرة هكذا وهو مسرور غير متضايق، فتتساءل مثلًا كيف يصلي صلاة قيام ليل طويلة هكذا دون أن يشعر بضيق من مشقة العبادة! هناك شخص مثلًا عندما يصلي التراويح، يتعب في أول الركعات ولا يستطيع إكمال الصلاة وهناك شخص آخر حزين لأن الصلاة قد انتهت ويريد أن يصلي أكثر، فصدره متسع لأكثر من ذلك.

-{فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ} (الأنعام: ١٢٥)، عندما يريد الله -عز وجل- أن يضل إنسانًا يمنع صدره، فهو المهيمن -سبحانه- {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ}(الأنفال: ٢٤)، الله يحول بين الإنسان وبين صدره، أي أن الله -عز وجل- يمنع القلب من تلقي النور، يحول بين المرء وقلبه ويضيق صدره عن تلقي النور {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا}(الأنعام: ١٢٥)، ليس فقط ضيقًا بل وحرجًا، ضيق أي أن المسافة ضيقة وحرج أي متشابك. فتخيل مساحة صدر الإنسان وبها مؤشر في المنتصف، فبدأ المؤشر يتجه إلى حيث يضيق على الطاعات

---

[٢] [عن أبي هريرة:] أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ، قالَ: يَعْقِدُ الشَّيْطانُ على قافِيَةِ رَأْسِ أحَدِكُمْ إذا هو نامَ ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ مَكانَها: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فارْقُدْ، فَإنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ صَلّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّها، فأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وإلّا أصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٢٦٩ • [صحيح]

لدرجة أن أصبح صدره ضيقًا جدًّا، فلم يعد يستقبل طاعات، فصار ضيقًا حرجًا متشابكًا، لأن الشيء الضيق ربما يدخل منه شعاع نور صغير أما هذا فلا؛ فهو ضيق وأيضًا حرج مثل المتشابك.

-وما رواه الإمام الطبري عن عمر بن الخطاب عندما سمع كلمة حرجًا، فقال: ائتوني بأعرابي يكون راعيًا من قبيلة مُدلج، فسأله قال: ما الحرج عندكم؟ فقال الأعرابي: إذا تشابكت الأشجار فلا تصل إليها لا راعية ولا وحشية؛ لا حيوان أليف ولا حيوان متوحش.

يقصد أنه عندما تتشابك الأشجار لن تستطيع الحيوانات المرور، أيًّا كان هذا الحيوان لن يستطيع المرور. فقال عمر بن الخطاب: **"كذلك قلب المنافق لا يصل إليه النور"**، فمهما عرضت له من آيات، ومهما رأى المنافق من معجزات، عصا انقلبت حية، ومهما سمع من آيات، مهما قُرئت عليه سورة الطور وسورة الأنعام كاملة، -والعياذ بالله- لا يتأثر. وقد كان عمر بن الخطاب يُغشى عليه من سورة الطور، وجبير بن مطعم يقول: كاد قلبي أن يطير[٣]، والمشركون كثيرًا ما قُرئت عليهم سورة الطور، النبي -صلى الله عليه وسلم- حاول أن يهز قلوبهم بسورة الطور ولم تؤثر فيهم بشيء.

-إذًا فالله -سبحانه وتعالى- يقول للنبي -صلى الله عليه وسلم- أن مشكلة هؤلاء ليست في الآيات لكن مشكلة هؤلاء أن صدورهم ضيقة حرجًا متشابكة فما عادت تسمح بدخول أي آية.

{وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ}(الأنعام: ١٢٥)، {يصعد} أي: يبلغ مشقة ويتكلف الصعود في السماء، فغالب عامة المفسرين من السلف قالوا: إن معنى الآية أنه كما أن الإنسان لا يستطيع أن يصعد في السماء لأن هناك جاذبية تشده إلى الأرض فيتكلف ما لا يطيق، فكذلك الإنسان الذي ضاق صدره بالطاعات يحاول الداعية أن يدخل إليه نور القرآن، فيجد هذا الشخص مشقة رهيبة كأنما يحاول أن يصعد إلى السماء، فهذا تشبيه. ومثل أن يتكلف الإنسان الصعود على حائط فلا يستطيع، كلما صعد وقع، كذلك الداعية الذي يحاول أن يدخل نور القرآن في قلب الإنسان المنافق فلا يدخل النور، فمثلما أن هذا سيفشل في الصعود إلى السماء، كذلك أنت لن تستطيع أن تدخل النور في قلب المنافق.

---

[٣] [عن جبير بن مطعم:] سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بالطُّورِ، فَلَمّا بَلَغَ هذِهِ الآيَةَ: {أَمْ خُلِقُوا مِن غيرِ شيءٍ أَمْ هُمُ الخالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمواتِ والأرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ، أَمْ عِنْدَهُمْ خَزائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المُسَيْطِرُونَ} قالَ: كادَ قَلْبِي أنْ يَطِيرَ، قالَ سُفْيانُ: فأمّا أنا، فإنَّما سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ يُحَدِّثُ، عن مُحَمَّدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، عن أبِيهِ، سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ، يَقْرَأُ في المَغْرِبِ بالطُّورِ ولَمْ أسْمَعْهُ زادَ الذي قالوا لِي. البخاري (ت ٢٥٦) ، صحيح البخاري ٤٨٥٤ • [صحيح]

-لكن بعض المعاصرين قالوا كنوع مما يسمى بالإعجاز العلمي -وإن كانت هذه التسمية تحتها خطوط ولا بد لنا من وقفات معها- لكن أيًّا كان، فقد قال بعضهم: إنه كما أن الإنسان كلما صعد في السماء فإن الأكسجين يقل ويضيق نفسه فكذلك الشخص المنافق يضيق صدره عندما يُقرأ عليه القرآن، تخيل أن سبب انشراح صدر المؤمنين هو سبب انغلاق صدر المنافقين -والعياذ بالله-؛ لذلك الآيات القرآنية تزيد المؤمنين إيمانًا مثلما في آخر سورة التوبة، لكن المنافقين {زَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ }(التوبة: ١٢٥)، الآيات القرآنية زادتهم رجسًا؟! أجل،ولذلك في ختام الآيات {كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ }(الأنعام: ١٢٥)، فالآيات القرآنية شفاء لصدور المؤمنين لكن تكون زيادة في ضيق صدور أهل الكفر والنفاق -والعياذ بالله-.

إذًا { يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ }(الأنعام: ١٢٥)، أي: يحاول الصعود في السماء ولا يستطيع، كأن الله -سبحانه وتعالى- يقول للنبي -صلى الله عليه وسلم- محاولة إقناع هؤلاء بالآيات القرآنية مع إعراضهم أشبه بمحاولة رفعهم إلى السماء وهم لا يستطيعون. وتشبيه آخر في قوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ }(البقرة: ١٧١)، أي: مثل الراعي الذي ينادى على الأنعام وهي لا تسمعه، فالله -سبحانه وتعالى- يقول للرسول -صلى الله عليه وسلم- كأنك تنادي عليهم وهم كالأنعام لا يسمعون ولا يفقهون ما تقول، وأحد أوجه هذه الآية التي وردت في سورة البقرة أن تأثير صوت الداعية في هؤلاء المعرضين كتأثير صوت الراعي في الأنعام وهم لا يسمعون، مثل أن تنادي على إحدى الأنعام أو الإبل فتقول له تعالَ هنا! وهو لا يسمعك، فكذلك أنت تنادي على المعرض تقول له أن تعالَ إلى هنا! اركب معنا! وهو لا يسمعك، فهو في قمة الإعراض.

-{ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا }(الأنعام: ١٢٥)، أي أن الله -عز وجل- جعل صدور هؤلاء ضيقة، لكن لماذا؟ لماذا ضيق الله صدور هؤلاء بل وجعلها ضيقًا حرجًا، لماذا؟ لأنهم أعرضوا عن الآيات الواضحة {كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ }(الأنعام: ١٢٥)، أي: لا يؤمنون أول مرة طرحت عليهم الآيات مثلما قال الله، وقد قلنا من قبل في القاعدة التي ذكرت قبل هذا { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ }(الأنعام: ١١٠).

إذًا فليحذر الإنسان أن يُعْرَضَ عليه الحق ثم يُعرِض هو عنه إما استكبارًا أو احتقارًا للحق أو خوفًا على شهوة، فليحذر الإنسان أن يأتي بعد ذلك ويريد الحق فلا يستطيعه، الإعراض عن

الحق –بعدما تبين– من عقوبته أن يُصرَف الإنسان عن الحق أبدًا والعياذ بالله، إذًا فليحذر الإنسان من أن يُعرَض عليه الحق فيرفض ثم يُعرَض عليه الحق فيرفض.

- **احذر أن تعرض عن الحق استكباراً ثم تطلبه بعد ذلك فلا تستطيعه!**

إذًا هنا السُنة التي نكررها كثيرًا: {نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى}(النساء: ١١٥) ، أي: نُلزمه ما اختار لنفسه، نُلزمه ما ألزم نفسه به، نقول له أنت اخترت هذا إذًا أنا سوف أُسهل لك الطريق إلى جهنم، أجعل صدرك ضيقًا لا يقبل نور الإيمان والهداية، وتتعجب.

–هذه الآية تجعلك تفهم كيف تكون الآية واضحة وضوح الشمس ورغم ذلك هو لا يريد أن يراها، كيف تكون الآيات واضحات بينات، كيف يرون البحر ينشق ولا يقولون آمنا برب موسى –أي جنود فرعون–، إذا كان فرعون أحمقًا، فلماذا يسير وراءه جنوده! إذا كان فرعون يحلم حلمًا ويتمنى تحقيقه فيمشي، أما هم جنوده يمشون وراءه! كيف؟ كيف يرون الآيات واضحات وبالرغم من ذلك لا يؤمنون؟

ففعلًا الله –عز وجل– يطمس البصائر ويَحُول بين المرء وقلبه ويضيق الصدر عن المعرضين –والعياذ بالله– ، {كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ}(الأنعام: ١٢٥) انتبه إلى كلمة (الرِّجْسَ)، قالوا: الرجس هو الخبائث والقاذورات الحسية والمعنوية، **أي أنه من سيمشي في طريق الإعراض هذا ستمتلئ نفسه بالخبائث وسيأتي بأشياء خبيثة في الاعتقادات وفي الأفعال**، تجد أنه من الممكن أن يصل لمرحلة أنه يُشَرْعِن الشذوذ! (الرِّجْسَ) انظر المبتعدين عن الطاعة قد يصل به الأمر أن يظل مكتئبًا نفسيًّا حتى يدفن ابنته فيبدأ يستريح نفسيًا! {أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ}(النحل: ٥٩)، يشعر بضيق صدر أنه رزق ببنت ولا يستريح نفسيًّا إلا عندما يدفن ابنته في التراب فيهدأ، ما هذه الفِطَر المنكوسة! هذا لأنه اختار عدم الإيمان.

{كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ}(الأنعام: ١٢٥)، الخبائث والقاذورات المعنوية والحسية، هذا هو طريق الضلال، طريق الضلال {كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}(الأنعام: ١٢٥)، طريق الضلال {فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ}(الحج: ٣١)، طريق الضلال {يَمْشِي مُكِبًّا على وَجْهِهِ}(الملك: ٢٢)، ربنا – سبحانه وتعالى– يقول في سورة الملك {أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(الملك: ٢٢)، طريق الضلال الذي يمشي فيه أولًا هو ليس طريقًا مستقيمًا هو طريق معوج

لأنه بالمقابلة { أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }(الملك: ٢٢)، مليء بالحفر والعقبات، فكلما يمشي يقع على وجهه، فكأنه من كثرة السير والوقوع على وجهه، قد قضى الطريق كله على وجهه من الأساس، {أفمن يمشي مكبًا}(الملك: ٢٢)، يمشي أي أن حاله في المشي مُكِبًّا، مُكِبًّا هنا حال، يمشي هكذا على وجهه، وليس الأصل أنه كان يمشي على وجهه بل الأصل أنه كان يمشي على رجليه فتقابله حفرة فيقع فيحاول أن يقوم فيقع، **فمن كثرة الوقوع كأنه كان يقضي الطريق كله على وجهه!**

- **لماذا تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟**

-هذا هو طريق الضلال، كله حفر نفسية وأزمات وضيق، فلماذا تختار هذا الطريق؟ لذلك الآية التي تليها يقول الله -عز وجل-: {كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وهذا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا}(الأنعام: ١٢٥-١٢٦)، ها هو الطريق أمامكم لماذا تتركونه؟ لماذا تختار { كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ}(الأنعام: ١٢٥)؟ لماذا تختار { فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ}(الحج: ٣١)؟ لماذا تختار طريق حيران؟ لماذا تختار طريق كالكلب يلهث؟ لماذا تختار طريق الذي يبحث عن السراب { حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا }(النور: ٣٩)؟ لماذا تختار طريق { كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا }(الجمعة: ٥)؟ لماذا تختار طريق الذي ينسلخ من جلده معذبًا نفسيًا؟

كل هذه الأوصاف المليئة بالتيه والظلام والحيرة واللهث والسراب، كل هذه الأوصاف طريق الضلال، لماذا يختار الإنسان هذا ويترك عندما يقول له الله: { وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ }(الأنعام: ١٢٦)؟ الله يقول له: { وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ }(الأنعام: ١٢٦).

(هذا) اسم إشارة للقريب الواضح، عندما تقول: (هذا) فهو اسم إشارة...

أولًا: يستعمل للأشياء الحسية أساسًا، فأقول لك: هذا قلم، لكن عندما أقول لك: هذا هو الإيمان يعني من شدة وضوح الإيمان كأنك تراه بعينيك، لذلك في طريق الدعوة {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله}، الدعوة واضحة ها هي أمامك كالشمس، فمن لا يريد أن يسير في الطريق إذًا هو الذي يتظاهر بالحماقة، الطريق واضح، { قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ }(يوسف: ١٠٨)، فربنا -عز وجل- يقول (هذا) أي طريق ربنا واضح، وهذا من معاني اسم الإشارة.

ثانيًا: (هذا) اسم إشارة للقريب، طريق ربنا واضح وقريب أمامك، و{ هَٰذَا صِرَاطُ }(الأنعام:١٢٦) الصراط: الشيء المستوي، ربك: أي محفوف بالربوبية والعناية، ستمشي في طريق ربك أنت محفوف بالعناية في هذا الطريق، تعرض عنه وتذهب إلى مَن يصَّعد في السماء؟! لذلك (هذا) دائمًا -كما نقول- اسم إشارة يأتي للقرب وللوضوح، لذلك عندما نهى الله سيدنا آدم عن القرب من الشجرة قال {وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ}(البقرة: ٣٥)، لماذا جاءت اسم إشارة للقريب؟ لكي يوضحها له ويقول له ها هي واضحة لكي لا يكون الأمر ملتبسًا أو يقول أنا لم أفهم أي شجرة منهم، أنا اعتقدت أنها الشجرة الأخرى، لا، ولا تقربا (هذه)، والحرام بيِّن، هذه الشجرة واضحة بيِّنة ها هي، لا تقترب منها.

-إذًا { وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ }(الأنعام: ١٢٦)، صراط الله واضح فمن يريد أن يسير عليه سيصل، وكم من أناس كانوا في الضلال وبحثوا حتى وصلوا، فلا تنشغل بهؤلاء، هؤلاء لا يريدون الحق، هم يريدون أن يتفلسفوا، لا، نريد آية، لا، نريد آية حسية، لا، نريد أن نكون مثل الرسول، لا، نريد أن يكون معنا مال، لا، نريد أن يُلقَى عليه أسورة من ذهب، فدعك من هذه المتطلبات لأنها سوف تبعدك عن طريقك، فلا تنشغل بهم. { وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ }(الأنعام: ١٢٦) واضح ليس معوج، وسهل، {قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ}(الأنعام: ١٢٦) الذي يدَّعي أن الآيات ليست واضحة فهو كاذب، فصَّل الله -عز وجل- الآيات، {قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ}(الأنعام: ١٢٦)، لكن لن يستفيد كل الناس من تفصيل الآيات.

-إذًا نريد أن نخرج من هذه الآية السابقة بقاعدة: **أن الإنسان يُكثِر من الدعاء أن يشرح الله صدره للإسلام، ويشرح صدره للقيام، ويشرح صدره للقرآن، ويشرح صدره للذكر، عندما تريد أن تفعل شيئًا ادعُ الله أن يشرح لك صدرك له**، مثل سيدنا موسى في أول طلب له -حتى يقول العلماء أنه لم يقل رب اشرح صدري، فأنت يمكنك أن تقول يا رب اشرح صدري- لكنه {قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي}(طه: ٢٥)، كأنه يطلب شرحًا مخصوصًا، أي: كأن شرح الصدر منه شرح عام للإسلام؛ أن يقبل صدرك الدين بعمومه، وأن يقبل طاعة مخصوصة صعبة عليك، فمثلًا القيام صعب عليك من فترة، أو صلاة الفجر صعبة عليك من فترة، فتقول: رب اشرح لي صدري لقيام الليل! اشرح لي صدري للذكر! اشرح لي صدري لتلاوة القرآن! لأن هذا بأمر الله -سبحانه وتعالى-. نسبة الإرادة مكررة منسوبة لله -عز وجل-: {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا }(الأنعام: ١٢٥)، القلوب تتعلق بالله، سواء أهل الإيمان أو الدعاة، النبي -صلى الله عليه

وسلم- والدعاة إلى الله يعرفون أن الأمور كلها بيد الله؛لذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (اللهم أعز الإسلام بأحد العمرين)[٤] ، أي أن الأمر بيدك أنت الذي تختار هذا أم هذا ليس أنا، أحد العمرين؛ سواء عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام أبو جهل، الله -عز وجل- هو الذي يختار {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ }(القصص: ٦٨)، {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ}(القصص: ٥٦).

-إذًا مَنْ ساروا على صراط ربنا مستقيمًا ولم يتعبوا مثل الذي كأنما يصعد في السماء، واختاروا الطريق السهل الميسر طريق الدين، وانتفعوا بتذكير النبي -صلى الله عليه وسلم- لهم بآيات الله {لقوم يذكرون}(الأنعام: ١٢٦)، أي أن هناك أناس زادتهم آيات ربنا بُعدًا، وأناس زادتهم تذكرةً وقربًا، هؤلاء الناس ماذا لهم؟

- **الجزاء من جنس العمل!**

كما كانوا يسيرون في الطريق المستقيم في الدنيا، {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ}(الأنعام: ١٢٧) في الآخرة، مثلما اختاروا طريق الصواب غير المعوج، الطريق الذي ليس به أذى نفسي، أي به راحة نفسية في علاقته بالله لكن ممكن يؤذَى بدنيًا، له الحياة الطيبة، فكذلك لهم دار السلام عند ربهم، كلمة جميلة جدًا تخفف عليك أي عناء تشعر به في الدنيا وفي المشاكل، تمر بمشاكل اجتماعية، مشاكل نفسية، مشاكل اقتصادية، تمر بمشاكل في حياتك، فتقرأ هذه الآية {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ}(الأنعام: ١٢٧) ، سيأتي وقت سيكون هناك دار كلها سلام، مجرد أن تقترب منها فقط ستجد ريح الجنة أيضًا، مجرد أن تقترب منها، عندما يتخيل الواحد مِنَّا هذا المشهد {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ}(ق: ٣١)، بل هي التي تقترب، أول مشهد ورائحة الجنة وتشم رائحة الجنة من مسافة وتقترب منها وتفتح لك أبواب الجنة وتدخل الجنة وتتلقاك الملائكة بالسلام وتبدأ حياة كُلها سلام { لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ }(فاطر: ٣٥)، لا يوجد أي تعب ولا أي نصب، { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ۖ } (فاطر: ٣٤)، هؤلاء لهم، أي: خصيصًا لهم، من المقصود بـ(لهم)؟ قالوا لقوم يذكرون بآيات الله.

[٤] [عن عبدالله بن عمر:] اللهم أَعِزَّ الإسلامَ بأَحَبِّ هذين الرجُلَيْنِ إليك بأبي جهلٍ أو بعمرَ بنِ الخطابِ قال وكان أَحَبَّهما إليه عمرُ، الترمذي (ت ٢٧٩)، سنن الترمذي ٣٦٨١ • حسن صحيح غريب • أخرجه الترمذي (٣٦٨١) واللفظ له، وأحمد (٥٦٩٦)

-إذًا من سيتذكر بآيات الله هو من سيدخل دار السلام، أما من لن ينتفع بآيات الله.. من لن ينتفع بالقرآن.. لن يدخل دار السلام. {لهم} أي لمن يذّكر بآيات الله {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ}(الأنعام: ١٢٧)، ودار السلام قيل: السلام من أسماء الله -عز وجل-، تخيل عندما السلام -وهو الله عز وجل- يُنشئ ويخلق للمؤمنين دارًا.. تخيل كيف تكون هذه الدار؟! الله -عز وجل- هو السلام -سبحانه وتعالى-، ومنه السلام -سبحانه وتعالى-، تخيل عندما يريد أن يسعد أولياءه -سبحانه وتعالى- ماذا يصنع لهم؟! أعظم شيء عندما تتفكر في الجنة تخيل أن الله بقدرته المطلقة يريد أن يسعد إنسانًا ماذا يصنع له؟مثال: -ولله المثل الأعلى- أغنى رجل في العالم إذا أحب أن يسعد ابنه ستجده يتفنن في أشياء لا تخطر لك على بال في إسعاده في كل شيء، في الأشياء النفسية قبل الأشياء المادية، وتجد الأب الحريص على إسعاد ابنه ينتبه لأشياء الابن نفسه غير منتبه أنه يحتاجها، أي من الممكن أن الأب من شدة حرصه على ابنه يفكر له في أشياء في بيته سيحتاجها الابن بعد عشر سنين مثلًا، والابن أقصى ما يفكر فيه أسبوعين أو ثلاثة مثلًا، ولله المثل الأعلى، الله -عز وجل- يسعد الناس في الجنة، أهل الإيمان، تخيل دارًا كُلها سلام {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ }(الأنعام: ١٢٧) الله أكبر!

-{**هَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا** ۗ }(الأنعام: ١٢٦)، **من مشى في صراط ربه واختاره... يكون عند ربه** {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(الأنعام: ١٢٧)، انتبه هنا للفظ الولاية الذي سيتكرر معنا الآن، { وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (الأنعام: ١٢٧)، أي أن الله -عز وجل- كما تولاهم في الدنيا يتولاهم في قبورهم، ويتولاهم يوم القيامة، ويتولاهم في الجنة، مثل قول الله -عز وجل-: {يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ}(محمد: ٦)، قيل: { عَرَّفَهَا لَهُمْ }(محمد: ٦)، أي: طيَّبها لهم، أي: يضع فيها الطيب قبل أن يدخلها المؤمنون، وقيل: { عَرَّفَهَا لَهُمْ }(محمد: ٦)، أي: يهديهم إلى منازلهم، أي ربنا يتولاك حتى وأنت تدخل الجنة، وأنت تدخل بيتك في الجنة ربنا لا يتركك حتى تصل بيتك في أمان في الجنة، هذه الولاية العظيمة في هدايتهم إلى منازلهم في الجنة تكون معهم في هدايتهم إلى طريقه في الدنيا، لأنهم اختاروا آيات الله -عز وجل- ورضوا بآيات الله -عز وجل-، الله يتولاهم.

-أما الذي لم يرضَ بآيات الله مَن سيتولاهم؟! الجن، عندما تعرض آيات القرآن على أحدهم ويرفض؛ هنا الجن يختاره {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ} (الزخرف: ٣٦)، أي: الذى يتعامى عن آيات القرآن { وَمَن يَعْشُ } أي: يتعامل كأنه أعمى لا يرى {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ} (الزخرف: ٣٦)، بمجرد أن يُقرَأ عليه قرآن فلا يريد أن يسمع {نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا} (الزخرف: ٣٦)، قيل: من معانى القيض هو

قشرة البيضة، أي: يأتي الشيطان ليحوطه {نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} (الزخرف: ٣٦)، إذًا عندما يعرض القرآن على أحد ويتركه فالشيطان يحوطه {نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} (الزخرف: ٣٦)، {وإنهم} أي وإن الشياطين {لَيَصُدُّونَهُمْ} أي: المعرضين عن سماع القرآن {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} (الزخرف: ٣٧)، لدرجة أن هذا العاصي يقول أنا جيد، {وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} (الزخرف: ٣٧)، إلى متى سيظل في هذه الدوامة؟ {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ} (الزخرف: ٣٨)، حتى يموت، يقول مَنِ الذي كنت أسمع كلامه وأطيعه؟ كنت أسمع كلام الشيطان، يا ليتني كنت تركتك، {يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ} (الزخرف: ٣٨)، {وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ}، (الزخرف: ٣٩).

الله -عز وجل- يتولى أهل الإيمان أعلى صور الولاية {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا} (البقرة: ٢٥٧). ما هي أعلى صور الولاية؟ {يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ} (البقرة: ٢٥٧).

-{وَالَّذِينَ كَفَرُوا} (البقرة: ٢٥٧)، لهم أولياء أيضًا، {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ} (البقرة: ٢٥٧)، انتبه للفعل المضارع {يُخْرِجُونَهُم} (البقرة: ٢٥٧)، أي: كلما يبدأ ينير بعض نور الفطرة عند بعض العصاة أو بعض المعرضين الشيطان يقول له إلى أين تذهب؟! انظر الفعل {يخرج} بصيغة المضارع كلما يبدأ أحد أن يهتدي يأخذونه يردونه إلى الظلام، {وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام: ١٢٧).

أما الذين جاهدوا حتى ينصروا دين الله، عندما سمع آيات القرآن، وعندما قَبِل، رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ نبيًا... الله -عز وجل- تولاه.

-**فولاية الله لك تكون على قدر عملك**، هذا معنى سيجعلك تحزن على نفسك جدًّا، ربنا يتولاك على قدر أعمالك، والدليل: {وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام: ١٢٧)، قال الله -عز وجل- في الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته..) هنا أعلى صور الولاية.. (كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)[٥] ، إذًا صور الولاية تزداد عندما تقترب أنت أكثر، لكن هل تريد

[٥] [عن أبي هريرة:] يقولُ اللهُ تعالى: مَن عادى لي وليًّا فقَد بارَزني بالمحارَبةِ، وما تقرَّبَ إليَّ عبدي بمثلِ أداءِ ما افترَضتُه عليْهِ، ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتّى أحبَّهُ، فإذا أحببتُهُ كنتُ سمعَهُ الَّذي يسمَعُ بِهِ وبصرَهُ الَّذي يبصرُ بِهِ ويدَهُ الَّتي يبطِشُ بها ورجلَهُ الَّتي يمشي بها، في

معاملة الهرولة وأنت تمشي بالأشبار؟ (من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة)[٦].

- عندما قالت أمنا عائشة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وكأن الله يسارع في هواك"[٧] ١ كأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- ينظر إلى السماء وربنا يعطي له ما يريده قبل أن يطلب، {قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ} (البقرة: ١٤٤)، بعدها مباشرة {فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا} (البقرة: ١٤٤)، هذه أعلى صور الولاية، هذه الهرولة -أي معاملة الهرولة-، أنت تريد معاملة الهرولة وأنت تمشي بالأشبار! أنت ما زلت تمشي أشبارًا وتقول لماذا لا يعاملني الله المعاملة التي يعاملها لفلان؟ أنت تريد أن تعرف عطاء الله انظر إلى بذله في نصرة دين الله -عز وجل-، لذلك الصوفية لهم قول: "إذا رأيت الله يعطى فلا تسألن عن السبب" أو شيئًا كهذا، فأحد الشراح يقول: لا؛ بل اسأل عن السبب حتى تفعل مثله.الشيخ النابلسي في الأسماء الحسنى يقول: عندما ترى عطاء الله -عز وجل- انظر ماذا يفعل حتى تفعل مثله، مثل عبد الله بن عمرو -وإن كان بعض العلماء ضعَّف الحديث- فيما يروى عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يقول:" يدخل عليكم رجل من أهل الجنة، فيقول أريد أن أعرف ماذا يفعل حتى أفعل مثله، فذهب وبات عنده ثلاث ليالٍ، فقال له أنام ولا يكون في صدري شيء أو غلٌ لأحد من المسلمين، قال هذه التي لا نطيق"[٨].

= يسمَعُ وبي يُبصِرُ وبي يبطِشُ وبي يسعى، ولئن سألني لأعطينَّهُ، ولئِن استعاذني لأعيذنَّهُ، وما تردَّدتُ عَن شيءٍ أنا فاعلُهُ تردُّدي عن قَبض نفسِ عَبدي المؤمنِ يكرَهُ الموتَ وأكرَهُ مَساءتَهُ، ولابد لَهُ منه. ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مجموع الفتاوى ٣٧١/٢ • أصح حديث روي في الأولياء

[٦] من تقرَّب إليَّ شبرًا تقرَّبتُ إليه ذراعًا ومن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقرَّبتُ إليه باعًا ومن أتاني يمشي أتيتُه هَرولةً

ابن تيمية (ت ٧٢٨)، مجموع الفتاوى ٢١٢/١٠ • صحيح

[٧] [عن عائشة أم المؤمنين:] كُنْتُ أغارُ على اللّاتي وهَبْنَ أنْفُسَهُنَّ لِرسولِ اللَّهِ ﷺ، وأَقُولُ أتَهَبُ المَرْأَةُ نَفْسَها؟ فَلَمّا أنْزَلَ اللَّهُ تَعالى: (تُرْجِئُ مَن تَشاءُ منهنَّ وتُؤْوِي إلَيْكَ مَن تَشاءُ ومَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فلا جُناحَ عَلَيْكَ) قُلتُ: ما أُرى رَبَّكَ إلّا يُسارِعُ في هَواكَ. ، صحيح البخاري ٤٧٨٨ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٤٧٨٨) واللفظ له، ومسلم (١٤٦٤)

[٨] -[عن أنس بن مالك:] يَطْلُعُ الآنَ عليكم رجلٌ من أهلِ الجَنةِ فطَلَعَ رجلٌ من الأنصارِ تَنطُفُ لِحيتُه من وُضوئِهِ، قدْ علَّقَ نَعليْهِ بِيدِه الشِّمالِ، فلَمّا كان الغَدُ قال النَّبيُّ مِثلَ ذلِك؛ الرجلِ مِثلَ المَرَّةِ الأُولى، فلَمّا كان اليومُ الثّالِثُ قال النَّبيُّ مِثلَ مَقالَتَهُ أيضًا، فطَلَعَ ذلِكَ الرجلُ على مِثلِ حالِهِ الأَوَّلِ، فلَمّا قامَ النَّبيُّ تَبِعَه عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو فقال: إنِّي لاحَيْتُ أبِي فأَقْسَمْتُ أنِّي لا أدخلُ عليه ثلاثًا، فإنْ رأيتَ أنْ تُؤْوِيني إليكَ حتى تَمْضِي فعلْتَ؟ قال: نَعَمْ قال أنَسٌ: فكانَ عبدُ اللهِ يُحدِّثُ أنَّه باتَ معَهُ تلكَ اللياليَ الثلاثِ، فلمْ يَرَهُ يقومُ من الليْلِ شيئًا، غَيرَ أنَّه إذا تَعارَّ وتَقَلَّبَ في فِراشِهِ ذكر اللهَ عزَّ وجلَّ وكَبَّرَ حتى يقومَ لِصلاةِ الفجرِ قال عبدُ اللهِ: غَيرَ أنِّي لَم أَسْمَعْهُ يَقولُ إلّا خيرًا فلمّا مَضَتِ الثَّلاثُ اللياليَ، وكِدْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يا عبدَ اللهِ ! لم يكن بَيْنِي وبينَ أبِي غَضَبٌ ولا هِجرةٌ، ولَكِن سمعتُ رسولَ اللهِ يقولُ لكَ ثلاث مَرّاتٍ يَطْلُعُ الآنَ

الشاهد من الحديث: أنه أراد أن يعرف لماذا هذا الشخص حتى يفعل مثله، والنبي –صلى الله عليه وسلم– عندما قال لبلال "بمَ سبقتني"[٩] ؟١ ماذا فعلت؟ فقد سمع دفي نعليه في الجنة، فقال له ماذا فعلت؟ فأنت عندما ترى أحد يفعل شيئًا اسأله؛ هل يذكر الله؟ يقوم الليل؟ وحاول الاقتداء بالصالحين.

{ وَهُوَ وَلِيُّهُم} (الأنعام: ١٢٧) أي أن الله –عز وجل– يتولاك في دنياك وفي أخراك وفي أعمالك الصالحة وغيرها، الله –عز وجل– يتولاك على قدر عملك، ليس بين الله وبين أحد نسب، { وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام: ١٢٧).

سياق الآيات؛ بعد أن أخبرنا الله بالقاعدة {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ..} (الأنعام: ١٢٥) و{وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ..} (الأنعام: ١٢٥) ، أخبر الله عن أهل الإيمان في الدنيا {هَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا} (الأنعام: ١٢٦)، ثم أخبر عن أهل الإيمان في الآخرة {لهم دار السلام} (الأنعام: ١٢٧).

– بعد أن انتهى الكلام عن أهل الإيمان الذين كانوا يمشون على الصراط المستقيم في الدنيا ولهم دار السلام في الآخرة، بدأ الكلام عن أهل الضلال، أهل الضلال الذين قال الله عنهم: {ومن يُرِد الله أن يُضِلّه} (الأنعام: ١٢٥)، ماذا يقول الله عنهم؟! {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} (الأنعام: ١٢٨) مَن {جميعًا} هنا؟

الإمام الطبري –وكان من إبداعات الإمام الطبري في تفسيره للأنعام أنه يربط السورة بأولها وبالآيات السابقة– قال: {جميعًا} تعود على الآيات من {وكذلِك جعلنا لِكُلّ نبي عدُوًّا شياطينَ الإنسِ والجِنِّ يُوحِي بعضُهُم إلى بعضٍ زُخرُفَ القولِ غُرورًا} (الأنعام: ١١٢). فهؤلاء الذين كانوا يوحون لبعضهم

عليكم رجلٌ من أهلِ الجَنةِ فطَلَعَتَ أنتَ الثلاثَ المَرّاتِ فأردتُ أنْ آوِيَ إليكَ لأنظُرَ ما عملُكَ؟ فأقتدِي به، فلَمْ أرَكَ عَمِلْتَ كَبِيرَ عَمَلٍ، فما الذي بَلَغَ بِكَ ما قال رسولُ اللهِ؟ قال ما هو إلا ما رَأَيْتَ فلَمّا ولَّيْتُ دَعانِي فقال ما هو إلّا ما رَأَيْتَ؛ غَيرَ أنِّي لا أجِدُ في نَفسِي لأحدٍ من المسلِمِينَ غِشًّا، ولا أحْسِدُ أحدًا على خَيرٍ أعطاهُ اللهُ إيّاهُ فقال عبدُ اللهِ: هذه التي بَلَغَتْ بِكَ، (وهِيَ التي لا نُطِيقُ)

الألباني (ت ١٤٢٠)، ضعيف الترغيب ١٧٢٨ • ضعيف • أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٩٩)، وأحمد (١٢٦٩٧) باختلاف يسير

[٩] [عن أبي هريرة:] أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لِبِلالٍ: عِنْدَ صَلاةِ الفَجْرِ يا بلالُ حَدِّثْنِي بأَرْجى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإسْلامِ، فإنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بيْنَ يَدَيَّ في الجَنَّةِ قالَ: ما عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجى عِنْدِي: أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طَهُورًا، في ساعَةِ لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ، إلّا صَلَّيْتُ بذلكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أَنْ أُصَلِّيَ.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ١١٤٩ • [صحيح]

ويستفيدون من بعضهم سيجمعهم الله جميعًا مع بعضهم البعض! فالمتمردون من الجن وشياطين الإنس الذين كانوا يستفيدون من بعضهم في المعاصي سيجمعهم الله مع بعضهم في الآخرة! {ويومَ يحشُرُهم جميعًا} (الأنعام: ١٢٨)، {جميعًا} تعود على الإنس والجن الذين كانوا يستفيدون ويوحون زخرف القول من بعضهم، كما قال تعالى: {يُوحِي بعضُهُم إلى بعضٍ زُخرُفَ القولِ غرورًا} (الأنعام: ١١٢).

إذًا كلمة {جميعًا} تعود على ثلاث طوائف؛ **شياطين الجن الذين كانوا يوحون للإنس، وشياطين الإنس الذين كانوا يستفيدون من الجن وكانوا يعطون أفكارًا للجن، والضعفاء الذين كانوا يسمعون كلام الطائفتين السابقتين!** فهذه الطوائف الثلاثة سيجمعهم الله، ثم ينادي على الجن في وجود الطائفتين الأخريين: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ}! (الأنعام: ١٢٨) ما معنى هذا؟ الله –عز وجل– يقول للجن: أنتم أضللتم كثيرًا من الإنس؛ كما قال تعالى: {أفتتّخِذونه وذُرِّيّته أولياء مِن دوني وهُم لكُم عدُوّ} (الكهف: ٥٠)، {ولقَدْ أضَلّ مِنكُم جِبِلًّا كثيرًا} (يس: ٦٢). وقال تعالى: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ} (ابراهيم: ٣٦)، وقد استعمل سيدنا إبراهيم صيغة التوكيد {إنّ}، مع أن الوضع لا يحتاج لتوكيد، لكن من شدة تأثره بما يقول استخدمها، فقال: {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ} (ابراهيم: ٣٦)، وأعطى الأصنام ضمير العاقل {إنهن}، ودعا؛ يا رب استعملني في إعادة هؤلاء الكثير إلى طريقك! فالله –سبحانه– يقول للجن: لقد أضللتم الكثير، للأسف {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ} (الأنعام: ١١٦)، فالله يقول: قد استكثرتم من الإنس، أي: استكثرتم من إغوائهم! لذلك إبليس –ولاحظ علو الهمة لديه– {قَالَ: أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} (الأعراف: ١٤). لماذا طلب أن يُنظَر إلى يوم يُبعثون؟ هل طلب هذا حتى لا تفوته متعة إلا ويستمتع بها؟ أم حتى لا تفوته سيارة إلا ويركبها؟ أم حتى يذوق كل نوع من أنواع الطعام؟ بل حتى لا يفوته إغواء أي إنسان! كذلك الداعية عليه أن يعلو بهمته لينصح كل إنسان! سيدنا إبراهيم يعلم أن عمره محدود، فمن علو همته قال: {وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} (الشعراء: ٨٤)؛ أي: دعوته تستمر بعد موته، وهذا أحد معاني قول الله –عز وجل–: {وجَعَلَها كلِمةً باقِيَةً في عقِبِه} (الزخرف: ٢٨)، في سورة الزخرف، فقد اختلف العلماء في من الذي جعلها كلمة باقية في عقبه؟ هل هو إبراهيم أم الله –عز وجل–؟ فمن العلماء من قال إن سيدنا إبراهيم جعل "لا إله إلا الله" باقية في عقبه، فقالوا: كيف هذا مع أنه لا يملك هذا؟ الإمام الشنقيطي يقول: جعلها باقية بالدعاء، فقال –إبراهيم– له: يا رب اجعل هذه الكلمة باقية في عقبي. وكذلك يعقوب وهو يموت قال لأبنائه {مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي} (البقرة: ١٣٣)؟

إذًا الذي لديه علو همة يفكر فيما يحدث بعد مماته، حتى لو كان من أهل الباطل. فالساحر لما كبر قال للملك: أنا هرمت، وسأموت، فابعث لي غلامًا أُعلِّمه السحر، فهو لن يستفيد من هذا لأنه سيموت، لكنه يدل على علو الهمة في الباطل.

-{قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ} (الأنعام: ١٢٨)؛ فالشيطان لا يريد أن يترك ولو فردًا! فهو يأتي للإنسان من لحظة ولادته، ولا ينتظره عندما يكبر ويصبح عمره عشرين عامًا، فنحن العاملين في الدعوة ننتظر الشاب بعد أن يكون قد شاهد قنوات الكرتون وفسد عقله وهو طفل، ويكون قد تعلم أشياء غريبة في المرحلة الابتدائية والإعدادية، ثم نأتيه وهو في المرحلة الثانوية لنقول له: نريد أن ندعوك إلى الله! بعد فوات الأوان! والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ فلما طعن طعن في الحجاب)[١٠]؛ استجابةً لدعوة امرأة عمران {إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (آل عمران: ٣٦)، فالشيطان يبدأ معه مِن لحظة الولادة؛ (فينخسه الشيطان)، ولا يتركه لحظة؛ (يجري من ابن آدم مجرى الدم)[١١] ، ويغوي كل الناس {إلى يوم يُبعثون} (الأعراف: ١٤). فيقول له: {قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ} (الأنعام: ١٢٨)، والذي يرد هنا هم الإنس، {وقال أولياؤُهُم مِنَ الإنسِ} (الأنعام: ١٢٨)، وقد وقف العلماء مع هذه الآية، وتعجبوا؛ ألا زال الإنس واثقين في الجن! أما زالوا يدافعون عن أسيادهم من الجن؟! فكأن معنى الآية؛ أن الإنس يقولون: يا رب، لا تعاقب الجن فقط، فقد أخطأنا مثلهم! وقد قال بعض المفسرين: لا يمكن أن يكون هذا هو مقصِد الجن، وإنما الجن خُرِس ولم يستطع الإجابة، فعاتب ربنا الإنس -وهذا

---

[١٠] [عن أبي هريرة:] ما مِن مَوْلُودٍ يُولَدُ إلّا نَخَسَهُ الشَّيْطانُ، فَيَسْتَهِلُّ صارِخًا مِن نَخْسَةِ الشَّيْطانِ، إلّا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ. ثُمَّ قالَ أبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: {وَإنِّي أُعِيذُها بكَ وَذُرِّيَّتَها مِنَ الشَّيْطانِ الرَّجِيمِ}[آل عمران: ٣٦]. وفي روايةٍ: يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صارِخًا مِن مَسَّةِ الشَّيْطانِ إيّاهُ. وفي حَدِيثِ شُعَيْبٍ مِن مَسِّ الشَّيْطانِ.

مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٣٦٦ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٤٥٤٨)، ومسلم (٢٣٦٦) واللفظ له

[١١] [عن صفية أم المؤمنين:] أنَّها جاءَتْ رَسولَ اللَّهِ ﷺ تَزُورُهُ، وهو مُعْتَكِفٌ في المَسْجِدِ، في العَشْرِ الغَوابِرِ مِن رَمَضانَ، فَتَحَدَّثَتْ عِنْدَهُ ساعَةً مِنَ العِشاءِ، ثُمَّ قامَتْ تَنْقَلِبُ، فَقامَ معها النبيُّ ﷺ يَقْلِبُها، حتّى إذا بَلَغَتْ بابَ المَسْجِدِ، الذي عِنْدَ مَسْكَنِ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النبيِّ ﷺ، مَرَّ بهما رَجُلانِ مِنَ الأنْصارِ، فَسَلَّما على رَسولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ نَفَذا، فَقالَ لهما رَسولُ اللَّهِ ﷺ: على رِسْلِكُما، إنَّما هي صَفِيَّةُ بنْتُ حُيَيٍّ قالا: سُبْحانَ اللَّهِ يا رَسولَ اللَّهِ، وكَبُرَ عليهما ما قالَ: إنَّ الشَّيْطانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ، وإنِّي خَشِيتُ أنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُما.

البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٦٢١٩ • [صحيح]

محذوف-، فقالوا: يا رب، نحن أخطأنا أيضًا! لكن ظاهر الآيات أن الله -سبحانه- خاطب الجن والذي رد هم الإنس للدفاع عن الجن! {وقال أولياؤُهُم مِنَ الإنس ربَّنا استمتَعَ بعضُنا بِبَعض} (الأنعام: ١٢٨)؛ فلم يكن الجن وحدهم الذين أخطأوا.

-ما هو وجه استمتاع الإنس من الجن؟ وجه استمتاع الإنس من الجن أن الجن كان يأتي بأفكار خبيثة شهوانية جديدة للإنس لم يكن يعرفها الإنس من قبل! فالشيطان يقول له: أنا عندي لك فكرة، يقول له: ما هي؟ فيقول له الشيطان: كذا، فيستمتع الإنس بالأفكار التي يطرحها الجن، ويطبقها، شهوات جديدة كتلك الأفكار والشهوات التي تظهر كل فترة! وما هو وجه استمتاع الجن بالإنس؟ يقول العلماء هنا: أن طاعة الإنس للجن هو وجه الاستمتاع عند الجن، أن يشعر أنه عظيم، وأنه مُطاع! تخيل! فكل ما يتمناه هو أن يكون سيِّدًا يُطاع! لذلك قالوا من معاني استمتاع الجن بالإنس أن الإنسان كان يخاف عندما يأتي واديًا، فيقول: أعوذ بسيِّد هذا الوادي من الجن، فينتفش الشيطان، وهذه هي لحظة الكِبر عند إبليس عندما قال: {أنا خيرٌ منه} (الأعراف: ١٢)، هذا كان استمتاعه، فيظل استمتاعه أن يطيعه الناس، لذلك يسجد بعض الناس للشمس في لحظة الشروق، فيقف الشيطان عند الشمس ويضع قرنيه، وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إن الشمس تشرق بين قرني شيطان)[١٢] ، ولذلك تُكرَه الصلاة لحظة الشروق، فالشيطان يضع قرنيه عند الشمس في هذا الوقت؛ لأنهم يسجدون له هكذا!

-وهناك أناس على هذه الشاكلة! وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ما ذئبان جائعان أُرسِلا في غنمٍ، بأفسد لها من الحرص على الدنيا والشرف)[١٣] ، فهناك من يعطيك كل أمواله في مقابل المنصب

[١٢] [عن عمرو بن عبسة:] قلتُ يا رسولَ اللهِ أيُّ اللَّيلِ أسمعُ قال جوفُ الليلِ الآخرِ فصلِّ ما شئتَ فإنَّ الصلاةَ مشهودةٌ مكتوبةٌ حتى تُصلِّيَ الصُّبحَ ثم أَقصِرْ حتى تطلعَ الشَّمسُ فترتفعُ قيدَ رُمحٍ أو رُمحَينِ فإنها تطلعُ بين قرْني شيطانٍ ويصلِّي لها الكفارُ ثم صلِّ ما شئتَ فإنَّ الصلاةَ مشهودةٌ مكتوبةٌ حتى يعدلَ الرُّمحُ ظلَّه ثم أَقصِرْ فإنَّ جهنَّمَ تُسجَرُ وتفتحُ أبوابُها فإذا زاغتِ الشَّمسُ فصلِّ ما شئتَ فإنَّ الصلاةَ مشهودةٌ حتى تُصلِّيَ العصرَ ثم أَقصِرْ حتى تغربَ الشَّمسُ فإنها تغربُ بين قَرْنَي شيطانٍ ويُصلِّي لها الكفّارُ

أبو داود (ت ٢٧٥)، سنن أبي داود ١٢٧٧ • سكت عنه [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]

[١٣] [عن كعب بن مالك:] ما ذئبانِ جائعانِ أُرسلا في غنمٍ، بأفسدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ، لدِينه

الترمذي (ت ٢٧٩)، سنن الترمذي ٢٣٧٦ • حسن صحيح • أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (١٥٧٩٤)

والسيادة، فيُنفق المال ويضحي بالولد في سبيل المنصب! هناك خلفاء قتلوا أبناءهم وخلفاء قتلوا إخوتهم من أجل المنصب! هل تتخيل!

-فاستمتاع الجن في أن يكون كلامه مسموعًا؛ لذلك عندما أوحى الشيطان للإنس كان يريد أن تطاع تشريعاته على الحقيقة! وقد قال ربنا: { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ } (الأنعام: ١٢١)، -ولاحظ أن الولاية مستمرة- {لِيُجادِلُوكُم وإِنْ أَطَعتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} (الأنعام: ١٢١)، الشيطان يذهب للكافر ويعطيه شبهة، ثم يذهب الكافر للمؤمن ليعطيه هذه الشبهة، فلو صدق المؤمن الشبهة فقد صدق الشيطان على الحقيقة، فينتفش الشيطان؛ لأن الشيطان يريد أن يُطاع من دون الله! الشيطان لا يريد للإنسان أن يعصي فقط! الشيطان عصى، وكذلك آدم عصى ربنا، كما قال تعالى: {وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ} (طه: ١٢١)، لكن الشيطان اعترض، هو لم يقع في المعصية رغمًا عنه، هذه المعصية لم تكن مجرد زلة قدم، بل كان متعمدًا! قال له: أنا لا ينبغي لي أن أسجد له أنا خير منه، "أأسجد!" سؤال مستنكر، ذلك اللعين وكأن أمر الله ليس به حكمة! {أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} (الاسراء: ٦١)، لذلك الشيطان يريد أن يوصّل بني آدم ليس فقط لأن يعصوا الله في الأوامر الشرعية، لا، بل أيضًا لأن يعترضوا على الأوامر الشرعية، فبالتالي يبدلونها ويغيرونها، لذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: ("لو" تفتح عمل الشيطان)[١٤]، لماذا "لو" بالذات؟ "لو" تعني الاعتراض القدري، فمثلًا وقع قدر وانتهى الأمر، فكأنك تقول "لو لم يحدث كذا"، فعندما تقول لو فالشيطان يأتي ويقول لك حسنًا لا بأس ولكن من الذي فعل هذا القدر؟ فأنت تجاوب -في حوار بينك وبين الشيطان- أن الله، فالشيطان يقول لك: الله هو الذي فعل بك هذا! حسنًا لا بأس اصبر وحسب، ثم يأتي لك مرة أخرى، ولكنك صليت العشاء في المسجد للتو! لماذا يفعل الله هكذا معك أنت بالذات! حسنًا لا بأس، فيبدأ أن ينمي بداخلك بذرة الاعتراض على القدر، هذه هي القضية.

-لذلك لو بالذات عندما تقولها كأنك تقول يا شيطان تعالَ، فكذلك الشرع تعني بداية الاعتراض، لذلك لما ذهب هذا الخبيث اللعين لسيدنا آدم لم يقل له كُل هذه الشجرة هذه شجرة طيبة، ولكنه ماذا

[١٤] [عن أبي هريرة:] الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وفي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ باللَّهِ وَلا تَعْجَزْ، وإنْ أَصابَكَ شيءٌ، فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كانَ كَذا وَكَذا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَما شاءَ فَعَلَ، فإنَّ لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ. مسلم (ت ٢٦١)، صحيح مسلم ٢٦٦٤ • [صحيح]

قال؟ مر بمراحل كثيرة أحد هذه المراحل: {مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} (الأعراف: ٢٠)، الله لا يريدك أن تصبح ملَكًا، ولكن ماذا سنفعل إنها حكمة الله! يقول له (ما نهاكما ربكما إلا) انظر لصيغة النفي والإثبات! أي كأن السبب الوحيد لنهي الله لك عن الشجرة أنك ستكون ملَكًا أو ستكون من الخالدين، انظر كيف يدخل له دخولًا خبيثًا! ما نهاكما إلا! يوصل للناس أن الشرع قيد لابد أن نكسره، فتبدأ الناس تعترض فبالتالي تبدل وتضع شرعًا آخر.

- إذًا نعود مرة أخرى، {اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ} (الأنعام: ١٢٨)، فما هو استمتاع الجن بالإنس؟ أن يُطاعوا -والعياذ بالله-، والإنس يستمتع بما يأتي له من أفكار شهوانية، {رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا} (الأنعام: ١٢٨)، هنا جاءت لحظة التسليم، { وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا } (الأنعام: ١٢٨)، كانت فترة وانتهت ثم اكتشفنا أن هؤلاء لن ينفعونا، والجن اكتشفوا أننا لن ننفعهم وانتهى الموضوع، لحظة الاستسلام، {وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ}(الأنعام: ١٢٨) ، والعياذ بالله، {خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} (الأنعام: ١٢٨)، طبعًا {إلا ما شاء الله}، العلماء تكلموا فيها ودخلوا في مباحث هل النار تفنى أم لا تفنى.

والشاهد أن هذا يعني أن قدرة الله مطلقة، يوجد أقوال كثيرة نأخذ منها أن الاستثناء يأتي دائمًا ليؤكد أن الله -عز وجل- لا يوجب عليه أحد شيئًا، ولكن الله شاء أنهم يخلدون في النار، المهم أن هذه مسألة كلامية.

-{إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (الأنعام: ١٢٨-١٢٩)، وهناك قال الله تعالى: {وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام: ١٢٧)، الإنسان دائمًا يحتاج لأحد يتولاه، لأحد يكون معه، فالله يقول أنه يولّي الظالمين، ولكن ما معنى {وكذلك} على ماذا تعود؟ أي: كما أن الله -عز وجل- جعل الجن أولياء على الإنس واستمتعوا بهم كذلك يولي الظالمين بعضهم بعضًا.

ما معنى نولي الظالمين بعضهم بعضًا؟ هناك قولين؛ **القول الأول**: أن الله يجمع الظالمين الذين يشبهون بعضهم سويًا، أي أن الظالمين مع بعضهم البعض، والشهوانيين، الكذابين، الفجرة، الله يجمع السارقين، يجمع الظالمين يجعلهم أولياء بعض، وهذه من سنن الله -سبحانه وتعالى- في الخلق {قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ} (الاسراء: ٨٤)، {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} (التكوير: ٧)، أحد معانيها أن الناس ستأتي

أصحاب الأعمال الخبيثة مع بعض وأصحاب الأعمال الطيبة مع بعض، زمرًا، كل زمرة فعلت معصية سيكونون مع بعض، فأحد معاني { نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (الأنعام: ١٢٩)، أي أن الله سيجعلهم يتقابلون، فالسارق سوف يسهل الله له وسيلة ليقابل سارقًا آخر ويصبحون مجموعة مع بعض ويكوِّنون جبهة عدائية مع بعض، أنت لا تعلم كيف سيتقابلون، كما أن أهل الإيمان سيتقابلون أيضًا ويتلاقون والمؤمن أخو المؤمن، كما يقول قتادة: "المؤمن يتولى المؤمن أينما كان وحيثما كان"، المؤمن الذي في أمريكا يتولى المؤمن الذي في الصين، والظالمون يساندون بعضهم البعض، يتولون بعضهم ويبحثون عن بعض، (يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعي الأكلة إلى قصعتها)[١٥]١، سيضعون أيديهم في أيدي بعض، روسيا وأمريكا سيضعون أيديهم في أيدي بعض ضد سوريا، الظالمون سيتولون بعض، هذا أحد الأقوال، مال إلى هذا القول الإمام الطبري.

القول الثاني للإمام ابن كثير قال: لا ليس كذلك؛ إنما معنى الآية أن الله سيسلط الظالمين على بعض ليفنوا بعضهم، يوقع بينهم فيضربون في بعض، {وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا } (الأنعام: ١٢٩) أن الله –عز وجل– يسلط على الظالم ظالمًا آخر، كما قال ابن كثير: "قرأت في الزبور أن الله يهلك المنافق بالمنافق ثم يهلكهم جميعًا، أي أن الله يسلط على الظالم ظالمًا مثله"، وهذا أحد معاني "كما تكونوا يولَّ عليكم"[١٦]، هناك ظالمون يسلط الله عليهم ظالمًا، وبعدما يُخرج هذا الظالم الظلم الذي في الناس، فيسلط الله على هذا الظالم ظالمًا آخر وهكذا الدائرة حتى ينفدوا، وفي خلال هذه الدائرة أهل الحق ينمون ويصارعون هؤلاء الظالمين.

إذًا الله يسلط على الظالم ظالمًا مثله؛ لذلك هناك أثر –وإن كان ضعيفًا– عن ابن مسعود: "من أعان ظالمًا سلطه الله عليه"[١٧]٣ دائمًا المنافق الذي يساعد الظالم، مثلًا ظالم يريد أن يصل للحكم، فيساعده

---

[١٥] [عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم:] يوشك الأممُ أن تتداعى عليكم، كما تتداعى الآكلةُ إلى قصعتِها، فقال قائلٌ: ومن قلةٍ بنا نحن يومئذٍ؟ ! قال: بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنكم غثاءٌ كغثاء السيلِ، ولينزعنَّ اللهُ من صدورِ عدوكم المهابةَ منكم، وليَقذفنَّ في قلوبِكم الوهنَ، قال قائل: يا رسول اللهِ ! وما الوهنُ؟ ! قال: حبُّ الدنيا، وكراهيةُ الموتِ.

الألباني (ت ١٤٢٠)، تخريج مشكاة المصابيح ٥٢٩٨ • صحيح

[١٦] [عن أبي إسحاق السبيعي وأبي بكرة:] كما تَكُونُوا يُوَلّى عليكم.الألباني (ت ١٤٢٠)، ضعيف الجامع ٤٢٧٥ • ضعيف

[١٧] [عن عبدالله بن مسعود:] من أعان ظالِمًا سلَّطه اللهُ عليه ابن كثير (ت ٧٧٤)، تفسير القرآن ٣٣٢/٣ • غريب • أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/٣٤)

منافق، فأول ما يفعله الظالم بعد أن يتمكن أنه يقضي على هذا المنافق! هذا طبيعي لأنه قد يقول أنه مثلما أعانني قد يعين شخصًا آخر عليَّ، لذلك عندما أقام عمر مكرم ثورة ليأتي محمد علي بعدها، فأول ما فعله محمد علي أن نزع هؤلاء وقضى عليهم.

-فالشاهد أن الذي سيعين ظالمًا بظلم سيسلطه الله عليه، هذه سنن الله -سبحانه وتعالى- أنه يسلط الظالم على الظالم، لذلك عندما قال الله تعالى {الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} (الروم: ١-٣)

كان أحد تهيئة صعود الدولة الإسلامية في العالم الصراعات التي تمت بين فارس والروم، هذه كانت استعدادًا عالميًّا لنشوء الدولة الإسلامية من تقدير الله، هذه الصراعات التي بينهم كانت علامة، انشغلوا ببعضهم.

-{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا} (الأنعام: ١٢٩)، حقيقةً الشيخ رشيد رضا هنا قام بعمل مبحث طويل جدًّا في سنن الله الاجتماعية كيف أن الله يسلط ظالمًا على ظالم، وكيف يوليهم بعض، كذلك الإمام ابن عاشور قام بعمل مبحث قيم جدًّا في هذه الآيات.

-الشاهد انظر للفارق بين {وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام: ١٢٧)، الله -عز وجل- يتولى أهل الإيمان بأعمالهم، والله -عز وجل- يولي الظالمين على بعض بكسبهم، لذلك عندما جاء أحد الناس يشتكي لسيدنا عليّ في الأثر المشهور يقول له لماذا لم يكن هناك فتن أيام سيدنا أبو بكر؟ قال له لأن أيام حكم أبي بكر كنت أنا وأمثالي من الرعية لكن أنا أحكم أمثالك من الرعية.

لكن هناك مبحث هنا؛ هل معنى هذا أن يستكين الناس للظلم ولا يدفعون ظلم الحاكم بأن يقولوا هذا مسلط من الله؟ أي أن هناك فارقًا بين أن نقول إنه القدر وبين أنه يُنازع، حيث أن الصوفية يقفون عند هذا المبحث ويقولون هذا قدر الله، أن الحاكم الظالم جاء بسبب ظلم الناس فالناس تصمت وفقط! لا بل له وسائل ومدافعة لها مباحثها -إن شاء الله-.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك وجزاكم الله خيرًا.